

دعم صاحب الكرمل ، وهو يراقب عملية الفولة ، موقف العسلي ، فشن حملة على البائعين في مقاله (٢٦) « نصب صلاح الدين بين الناصرة وطبرية » ساخرًا من الاغنياء الذين لم يتورعوا عن بيع حتى نصب صلاح الدين بمال يسير ينفقونه على الملاهي ، ثم يعيشون في شقاء ويورثون ابناءهم بلاء . . . » ويضيف « . . . والله لو كان عندنا نصف ما كان عند اسلافنا من الحماسة والنخوة والوطنية لما حلم الصهيونيون باسترداد بلاد اجدادهم بالمال . . . » دعوة الكرمل لم تثن الوالي او سريسق عن عزمها امام مغريات الصهيونيين .

ولكن صدى حملة الكرمل في شرح ابعاد الخطر كان يصل الى الخارج حيث يتلخفه المثقفون العرب (في الاستانة او القاهرة وغيرها) ، كما ان بعضهم قد لمس النفوذ اليهودي في اوساط الاتحاديين ونتائج البعيدة في تحقيق اطماع الصهيونية ، واتفق الجميع على خطورة المسألة الصهيونية في فلسطين ، الا انهم اختلفوا في تحديد مدى هذا الخطر ، فبينما وجد اولئك الذين في الداخل انه خطر سياسي مادي معا ، وجد الذين في الخارج ان الخطر المادي فقط هو الذي يهدد معيشة السكان . وكان من الفئة الاخيرة رفيق العظم ، احد الادياء السوريين والدعاة للنهضة العربية . وعلى صفحات جريدة (الحضارة) (٢٧) التي كان يصدرها المثقفون العرب في الاستانة كتب مقالا عن الاستعمار الصهيوني ، بعد ان غالت اكثر الجرائد السورية — على حد قوله — في ذكر الخطر الذي يهدد البلاد من آمال الصهيونيين لاعتقاد أنهم يريدون اعادة « ملك اسرائيل في اورشليم . . . » . ورفيق العظم يستبعد تحقيق الفكرة الصهيونية ولا يخشى من مهاجرة الاسرائيليين الى فلسطين الا من وجهين : بقاء اكثرهم على التابعية الاجنبية ، وهذا ما يجر مشاكل على الدولة ثم الناحية المادية التي تهدد الشعب الفلسطيني نفسه اذ « ان هؤلاء اليهود شعب مقتصد ، عامل ، نشيط ، والجمعية الصهيونية تقدر على كل الوسائل المؤدية لراحته وترقيته . . . ومن شاهد القرى التي استعمروها . . . تحقق له ان خطر تنازع البقاء محيط بسكان البلاد . . . » وحث الكاتب « على وجوب نهضة اهل البلاد لمجاعة اليهود . . . والا كانوا طعمة لجيرانهم » .

مقال العظم لم يثر استياء الصهيونيين ، بل أنهم شكروه على افكاره لانها « مهدئة للخواطر ومؤلفة للعناصر . . . » ، بل لقد طلب احدهم من العظم ان يقنع المتهمين على الجمعية الصهيونية بالاقلاع عن مهاجمتهم في الجرائد العربية « . . . او اشغال الدولة بامور تافهة كالمسألة الصهيونية (٢٨) . . . » . ووجدوا في قوله مناسبة لترديد حججهم بمنافع الصهيونيين . وكان ابرز المدافعين نسيم ملول (٢٩) الذي وافق العظم في نفي المقصد السياسي عن الصهيونية ، اما الامر الآخر الذي تخوف منه العظم فبرأيه ، ان ما يفيد الوطني العثماني هو « الجري في ميدان التنسابق مع الاسرائيليين » . وفي كتاب له بعنوان « اسرار اليهود » (٣٠) ، تعرض لمهاجمة الكتاب الذين يتولون حملة المعارضة ويصورهم بأنهم جهلة يرمون « الامة الاسرائيلية بمفتريات انتقلت الى الشرق من اوربا بسبب ما رأوه من نجاح اعمال اليهود في فلسطين . . . » واشترك نجيب نصار في الحوار (٣١) ، ودون ان يشير الى مقال رفيق العظم — وربما عن تجاهل مقصود — فند اقوال المدافعين عن الصهيونيين الذين ينفون فكرة الاستقلال ، فاكد انها لا تزال تراود اجلامهم . اما عن دعوى فائدتوسم للوطنيين فيأتي نصار بالادلة لما اوقعوه من ضرر بالاهالي « . . . فان كانت جمعياتكم تقوم بعمل انساني بايجاد ملاجئ لليهود المظلومين في بلاد اخرى ، فلا يقضي ان تكون سببا بانسقاء اهل البلاد . . . » .

كل ما كان يتردد في الصحف العربية حول المسألة الصهيونية ، لم يدفع الحكومة لاثارة الموضوع على مستوى رسمي ، « مع ان جماهير الاتراك عموما — كما يقول لوثر السفير البريطاني في رسالته الى وزير الخارجية — (٣٢) . يلاحظون مدى النفوذ الذي يتمتع به